أ.د. طلال عتريسي
مفكر من لبنان

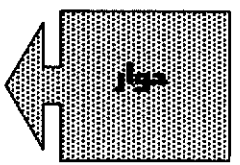

الوحدة والتقريب في إطار الممكن

استاذ في الجامعة اللبنانية، وحالياً مدير معهد العلوم الاجتماعية في هذه الجامعة. تدور كتاباته حول القضايا التي تهم الاسلام والمسلمين وحول قضايا التقريب و.. وهناك كتاب حول صور المرأة تناقش وجهاه نظر غربية، هناك كتاب حول صور الآخر غير العربي، وغير المسلمين، كُتب التعليم المدرسية وترجمات و.، هناك كتابان تحت الطبع واحد عن ازمة السيادة في الدولة في مواجهة العولمة وكتاب حول ايران وحرب افغانستان وحرب العراق خصوصاً كانت ايران معنية مباشرةً وغير مباشرة في التطورات التي حصلت.

□ في حرب العراق وافغانستان هل كانت ايران مقصودة بالذات؟

■ في رأيي الشخصي انه لم يكن المقصود ايران مباشرةً. كانت ايران ربّما تأتي في ترتيب جدول الأعمال الامريكي ربّما في رقم اثنين او ثلاثة. جدول الأعمال الامريكي برأيي ان الذي دفع الى شَنّ الحرب هو رؤية امريكية للعالم تفترض ان الولايات الامريكية يجب ان تنتقل من مابعد الحرب الباردة الى ادارة الاستقرار العالمي،الى مرحلة الهيمنة الكاملة على العالم، والى مرحلة فرض القِيمَ التي تعتقد انها القيم الصحيحة، وان نقل العالم الى ماتسميه الديمقراطية

سيجعل العالم اكثر تبعيةً وتأييداً للولايات المتحدة الامريكية. انا اعتقد هذا هو السبب الاساس الذي دفع الى شَنّ الحرب على افغانستان وشَنّ الحرب على العراق ايضاً، وليس السبب تهديد نظام طالبان ولا تهديد نظام صدام حسين؛ فهذان النظامان لايشكلان أي تهديد فعلي لا للويالات المتحدة الامريكية ولا الغرب عموماً . ثمّ الاعداد للحرب وفقاً لرؤية امريكية وفقاً لما يقدره خبراء امريكيون، وفقاً لمشروع القرن؛ المشروع الامريكي المقبل. هذه حسابات الايديولوجية الاميريكية هي التي دفعت الى شنّ الحرب. طبعاً دولة مثل ايران تؤخذ بعين الاعتبار انها دولة تحاول ان تقدم مشروع نموذج دولة اسلامية، تسعى لمشروع وحدة اسلامية، وهي دولة لاتزال من الدول القليلة المعارضة للتوجهات الامريكيةوالتي تحافظ على قرار استقلالها السياسي والاقتصادي. بهذا المعنى ايران تكون من ضمن الدول التي يجب كسر ارادتها تحت هذا التوجه الامريكي ورؤيته للعالم ككل، ولمنطقتنا خصوصاً.

□ ما هو الفرق في رأيكم بين التقريب بين المذاهب الاسلامية والوحدة الاسلامية وهل يعني التقريب دمج المذاهب؟

■ قد يكون مشروع التقريب اكثر مطابقتاً للاختلاف بين المذاهب في العالم الاسلامي عملياً وموضوعياً من موضوع وحدة المذاهب اذا اردنا ان نستخدم هذا الامر، يمكن ان نقول وحدة المسلمين في مواجهة مشاكلهم الداخلية وفي مواجهة اعدائهم في الخارج، والى جانب ذلك التقريب بين المذاهب، لتذويب اكبر قدر ممكن من الاختلاف، وتوضيح حجم اوسع من التلاقي بين المذاهب، وازالة الشوائب الموجودة والتصورات الخاطئة عن المذاهب، وهي كثيرة وعميقة. وهناك من يبذل الاموال الكثيرة من اجل

استمرار هذا التشويه في الرؤية الى المذاهب في العالم الاسلامي. هذا سبب انا اعتقد ان الامرين مكملان لبعضهما (التقريب والوحدة) الوحدة الاسلامية ليس على صعيد المذاهب . لا احد يقبل بتوحيد المذاهب مع بعضها لكل مذهب خصوصيته، كل مذهب يمتلك ما يعتبره صحيحاً بينما التقريب يحصل احياناً بين اطراف متباعدين، يحصل تقريب على مستوى سياسي والتقريب بين المذاهب شأن مهم و ضروري وينزع كل الاحتمالات لاثارة العصبيات بين اوساط المسلمين؛ والوحدة الاسلامية اعتقد انها يجب ان تبنى على اساس البحث في مشاكل المسلمين، في اسباب بعض ظواهر التخلف في حياة المسلمين وفي التهديدات المشتركة. والتقريب حتى على المستوى الفقهي أن نعرف ماهي المساحة المشتركة المتفق عليها لكي نزيل الشوائب. يصطاد بعض الافراد وبعض الدول وبعض الجهات الخارجية في الماء العكر لهذا الغموض الموجود بين المذاهب. وهناك عدم معرفة تامة بالمذاهب الاسلامية، هناك بعض يكفّر البعض الآخر، حتى بدون ان يطلع على المذهب. التقريب اعتقد انه يفيد في ازالة هذا الجانب المظلم المتبادل عند المذاهب الاسلامية.

□ في رأيكم التقريب بين المذاهب الاسلامية على الجانب الفقهي هل هو في توحيد أسس استنباط الاحكام الشرعية او شيء آخر؟

■ هذا الامر يحتاج الى نقاش بين العلماء؛ هناك خلاف في طرق إستنباط الاحكام الشرعية بين من يدين هذا البعد و بين من ينقص هذا البعد، انا اعتقد مجرد هذا البحث في هذه الامور هو امر ايجابي، حتى لا يبقى الامر بايدي غير المتخصصين، او بايدي من يروّجون بعض الامور غير الواضحة، لأن هناك موجة تكفير لاتزال سائدة في العالم الاسلامي، وتعود الان وتنشط هذه الموجة،

بسبب احداث سياسية حيث تكفَّر بعض الجهات الاسلامية البعض الاخر، يعني سياسات عاشت على امتداد اربعين او خمسين سنة على تكفير مذاهب اسلامية، مجرد الأهتمام بمسألة التقريب سواء بحث موضوع الاحكام أو التعرف على مذهب الآخر، اعتقد هذه المسألة في غاية الأهمية.

ننظر الى قضايا المسلمين المشتركة بغض النظر عن وجود اعداء خارجيين علماً بأن المسلمين عاشوا على الدوام بمواجهة اعداء خارجيين، يعني لم تكف اليد الخارجية عن التدخل في شؤون المسلمين منذ نصف قرن الى اليوم، ولكن هذا لم يمنع من ضرورة البحث في المشاكل الحقيقية التي يواجهها المسلمون اعني (مشاكل التنمية والتربية والاجتماعية وتطبيق القانون والاقتصاد) و... يجب ان نبحث حتى اذا لم نواجه أعداء من الخارج، مثل مايفعل الاتحاد الاوروبي الان.

□ هل هناك امكانية لهذا الشيء؟

■ هناك صعوبات واقعية تحول دون هذا البحث المشترك، من المفترض ان تكون منظمة المؤتمر الاسلامي هي الأطار الذي تُبحث فيه هذه القضايا، ولكن للأسف هذه المنظمة لا تقوم بدورها الفاعل على مستوى الاهتمام في قضايا المسلمين التنموية والسياسية والاقتصادية، وبالاضافة الى التهديدات الخارجية ليس لها موقع مؤثر في العالم يعني عندما يحسب العالم ألف حساب لموقف مؤتمر منظمة الاسلامي، هذا الأمر غير موجود، الاسباب تعود الى ان الكثير من حكومات العالم الاسلامي ليس لها قرار مستقل. القسم الاخر من هذه الحكومات لا يكون همها هم الاسلام، قد تكون حكومات مسلمة ولا تسعى لتطبيق برنامج اسلامي، اولا تبحث في تطبيق الاسلام كنظام حيوي اجتماعي وسياسي

واقتصادي.

□ هل العودة الى الماضي ونبش القضايا التأريخية في صالح وحدة العالم الاسلامي؟

■ احياناً تكون العودة الى التاريخ مفيدة، وقد لا تكون مفيدة. يتم نبش بعض الحزازيات اوالعصبيات من خلال التاريخ لمنع التقارب في فترة معينة لأهداف معينة قد يتحدث الانسان عن الحروب الصليبية ليقول ان لا نتحدث مع الغرب مثلاً هذا لغرب الصليبي، اولا ممكن ان نفهم الظروف التاريخة التي حصلت بين الشعوب بين الملل بين المذاهب لننتقل الى مرحلة مختلفة عن المرحلة التاريخية.

□ ماهي أهم المشتركات بين المذاهب الاسلامية لكي تكون منطلقاً للتقريب؟

■ طبعاً هناك مستوى فقهي، مستوى اجتماعي، مستوى سياسي، المستوى الخارجي، كل المؤشرات تشير الى ان مساحة اللقاء مساحة كبيرة ليست مساحة صغيرة، ويجب ان يكون الانطلاق من هذه المساحة لتشعر الاجيال ان هناك فقهاً مشتركاً.

□ الاختلافات بين مذاهب أهل السنة تكاد تكون معدومة، هل ترون في الافق ذوبان الاختلافات بين أهل السنة ومذهب أهل البيت(ع)؟

■ مثل ما ان هناك اختلاف بين الفقهاء عند هذا المذهب او ذاك فعند اهل السنة الاختلاف بين الفقهاء موجود وعند الشيعة ولدى المراجع موجود حول قضايا فقهية وهذا لا يمنع ان يكون المذهب واحد.

وتحت هذه الوحدة هناك اجتهادات ممكن ان ننطلق من هذه القاعدة، ان

هناك فقهاً واحداً عند المسلمين، ولكن لا يمنع من وجود اختلافات، اجتهادات محددة، هذه نقطة ويجب ان نعمم ثقافة الفقه المشترك.

نقطة ثانية ان هناك قضايا اجتماعية مشتركة تحقق تطلّعات اجيال شابه وكيفية تحقيق تطلّعات الاجيال اللاحقة في العالم الاسلامي وكيفية مواجهة التغيرات الكبرى على مستوى المعلومات وعلى مستوى التكنلوجيا وتأثيراتها التربوية والسلوكية والاخلاقية، هناك مشكلة مطروحة الان في العالم الاسلامي: كيف نتعامل معها وكيف نتعاطى معها؟ بعض يقول: نقفل الابواب، بعض يقول نفتح الابواب نحتاج الى مؤتمرات والى نقاشات حقيقية ليس مؤتمرات اعلامية، هذا موضوع مشترك حتى في دول العالم الغير الاسلامي . هذا موضوع مطروح في فرانسا، على سبيل المثال مطروح في الصين ايضاً مطروح في الهند ايضاً يعتبرونه غزواً ثقافياً امريكياً.